على الواصب أشد. قلت قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد
علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب أن يكون حسنا
وأن يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسن ما كان مخلوقا له
جعلنا بدواعي الحكمة إلى خلقهما بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلها
مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فأحسن صوركم وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا
وإليه مصيركم فيجازيكم على الشكر والتفريط فيه فإن قلت كيف أحسن صورهم قلت
جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن يكون صورته على خلاف ما
يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل
في أحسن تقويم فإن قلت فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون
قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور
عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا وإضافتها إلى الموفي عليها لا تستملح وإلا فهي داخلة
في حيز الحسن غير خارجة عن حده ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى
الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى في مراتب الحسن فينبو عن الأولى طرفك وتستثقل النظر إليها
بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان نبه
بعلمه ما في السموات والأرض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور
أن شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه أن يتقى ويحذر ولا
يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله
فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر
نعمته فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق أعظم نعمة من الله على
عباده والكفر أعظم كفران من العباد لربهم ألم يأتكم الخطاب لكفار مكة وذلك إشارة
إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة بأنه بأن الشأن
والحديث كانت تأتيهم رسلهم أبشر يهدوننا أنكروا أن تكون الرسل بشرا ولم ينكروا
أن يكون الله حجرا واستغنى الله أطلق ليتناول كل شيء ومن جملته إيمانهم وطاعتهم فإن

قلت قوله وتولوا واستغنى يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم
يزل غنيا قلت معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان ولم يضطرهم
إليه مع قدرته على ذلك الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية
الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى إلى مفعولين تعدي
العلم قال ولم أزعمك عن ذاك معزلا وأن مع ما في حيزه قائم مقامهما والذين كفروا أهل
مكة وبلى إثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله يسير أي لا يصرفه عنه صارف وعنى
برسوله والنور محمدا صلى الله عليه والقرآن وقرئ يجمعكم ونكفر وندخله بالياء فإن قلت بم انتصب الظرف
قلت بقوله لتنبؤن أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم
أو بإضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون يوم التغابن مستعار من تغابن
القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها
لو كانوا سعداء ونزول الأشقياء منازل السعداء التي كانوا أشقياء وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم
ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار
لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده لو أحسن ليزداد حسرة ومعنى
ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن
في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت ويعمل صالحا صفة للمصدر أي عملا
صالحا إلا بإذن الله إلا بتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه يهد قلبه يلطف به
ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد
قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد إن ابتلي
صبر وإن أعطي شكر وإن ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع
أو منصوب ووجه النصب أن يكون مثل سفه نفسه أي يهد في قلبه ويجوز أن يكون المعنى
أن الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد إليه لقوله لمن كان له قلب وقرئ
نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى يهدأ ويهدا قلبه يطمئن ويهدا ويهدا على التخفيف
والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)